The Traveler's Gift

Andy Andrews

ملخص كتاب هدية المسافر

لمؤلفه: اندي أندروز

التعريف بالمؤلف:

عاش المؤلف اندي اندروز (andyandrews.com) حياة عادية، حتى بلغ 19 عاما، حين توفى والديه في عام واحد، الأم من السرطان، والأب في حادث سيارة، مما قلب حياته رأسا على عقب، وتحول في بضعه سنوات ليصبح بلا مأوى. هذا التحول الدرامي دفع اندي للتساؤل: هل الحياة تذكرة يانصيب – تربح أم تخسر، أم أن هناك خيارات أمام الواحد منا، تعينه على تحديد مستقبله؟

لمعرفة الإجابة، طرق اندي ردهات المكتبات العامة، وقرأ ما يزيد عن 200 قصة حياة ونجاح مشاهير الناجحين، ومن ملاحظاته، ومشاهداته، وجد اندي خصالا سبعة مشتركة في غالبية الناجحين، درسها في حياته كلها، ووضعها في كتب كثيرة، دارت حول هذه الصفات والقرارات.

كان اندي يعمل بالليل ليسدد مصاريف الدراسة، وحدث أثناء درس كيمياء في كلية الطب البيطري، أن كان كل ما كتبه على ورق دفتره هو دعابات وسخرية هزلية لمواقف تخيلها من وحي الدرس، ساعتها قال اندي لنفسه: ما الذي تفعله هنا؟ أنت مخلوق للكوميديا. بعدها، بدأ اندي حياته المهنية كممثل كوميدي، وهو لا يعرف أي شيء عن هذا المجال الذي اختاره لنفسه.

ظل اندي يستجدي ويعرض نفسه شهورا طويلة ليحصل على فرصة – حتى بدون مقابل –يؤدي فيها استعراضه الكوميدي. تعلم اندي أن يجعل قانون الأرقام يعمل لصالحه، بمعنى أن يستمر حتى يجد شيئا. تعلم اندي من محاولاته الفاشلة، وتعلم المثابرة والاستمرار في المحاولة، تعلم أن يتصل منتحلا صفة وكيل أعمال نفسه، واستمر في الاتصال بالجميع، حتى حصل على عرضه الكوميدي الأول مقابل 25 دولار.

كانت التجربة الأولى غير ناجحة بشتى المقاييس، فهي كانت في مكان يبعد عن سكنه 4 ساعات، وكان أداؤه رديئا للغاية، وخرج خالي الوفاض منها. لكن اندي تعلم منها الكثير، تعلم أن يثابر حتى يحصل على شيء، وتعلم أنه لكي يحصل على فرصة عمل، فإن عليه عمل اتصالات هاتفية كثيرة جدا بحثا عن هذه الفرصة.

ذات يوم، قرر اندي رفع أجره إلى ألف دولار في الليلة. المفاجأة كانت استمرار الطلب عليه، هذه المرة من المجتمعات الراقية، التي علمته الكثير وساعدته على بلوغ الشهرة الواسعة، في الكوميديا وفي المثابرة وفي

المبيعات. هذا الرفع في الأجر جعل الناس يعاملونه معاملة أخرى، ما دفع اندي للتيقن أن الناس بدأت تنظر إليه على أنه فنان مرموق، غالي أجره.

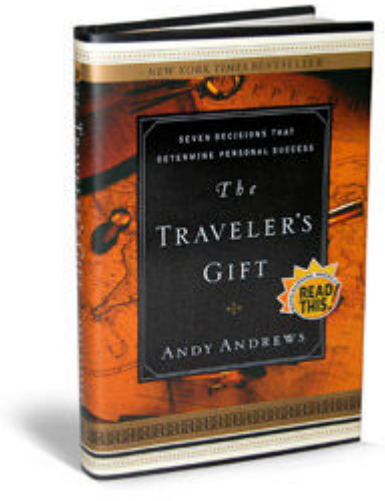

اليوم اندي مؤلف كتب شهير، ومحاضر بارع، ومتحدث محبوب، يستطيع أن يبث روح الدعابة والمرح في أي موضوع يتحدث فيه. جرب أن تبحث عن محاضرته السمعية والبصرية، ودعها تعطيك دفعة قوية من الأمل والتفاؤل، والثقة في أنك قادر على تغيير مستقبلك للأفضل، فقط إذا اقتنعت بأن قادر على ذلك، واتبعت الأسباب، أسباب النجاح.

من أشهر كتب اندي كتابه هدية المسافر، حيث عرض سبعة قرارات، على كل من تدب الحياة في جنباته أن يتخذها، هذه القرارات تأخذنا من عالم اليأس والإحباط والتشاؤم، إلى الجهة المشرقة المضيئة من الحياة: جهة التفاؤل والنجاح. يبدأ الكتاب فيعرض لنا قصة الأمريكي ديفيد بوندر، الذي كان قاب قوسين أو أدنى على تحقيق النجاح الذي كان يحلم به في عمله، عمله الذي قضى فيه الساعات الطوال وتخلف بسببه عن حضور مناسبات عائلية كثيرة.

شكر خاص إلى جاسم الهارون الذي أهداني هذا الكتاب.

هذا الملخص لا يغني بأي حال عن قراءة الكتاب، فهذا الملخص يحمل وجهة نظري الشخصية، ومنظوري الشخصي، وفهمي الفردي لثنايا الكتاب، وهي ليست بالضرورة رؤية صحيحة أو شاملة أو كاملة.

إذا أعجبك هذا الملخص، لا تتردد في شراء هذا الكتاب،

اعمل على تشجيع المؤلفين ليأتوا بالمزيد من الكتب المفيدة.

تلخيص: رءوف شبايك

blog.shabayek.com

هدية المسافر
اندي اندروز

المقدمة:
في غمضة عين، تقدم منافس لشراء الشركة التي عمل بها بطل قصة الكتاب ديفيد بوندر، وتم له ذلك، فما كان منه إلا وطرد كل المدراء القدامى. فجأة وجد ديفيد نفسه عاطلا في بيته، وهو ظن أن الأمر لن يطول وسيجد عملا آخر بسهولة. جاءت الرياح بما لا يشتهي، إذ طال جلوسه في البيت واضطر لبيع ممتلكاته وصرف مدخراته كلها، حتى انتهى به العامل بائعا في محل خردوات. ذات يوم عصيب، اتصلت به زوجته باكية لتخبره أن سبب مرض ابنتهما المتواصل هو التهاب لوزتيها، وأن الطبيب وجد أنها بحاجة لعلمية جراحية عاجلة لاستئصالها فورا وعليهما تدبير المال اللازم لذلك وبسرعة.

لم يُعجب صاحب المحل بإضاعة ديفيد لوقته في الحديث مع زوجته على الهاتف، ولم يحاول تفهم الظرف الخاص لديفيد، فما أن انتهى من مكالمته حتى أعطاه ذاك بقية أجره وصرفه طالبا منه ألا يعود مرة أخرى... ركب ديفيد في سيارته المتهالكة القديمة، وأخذ يفكر ويسأل، لماذا أنا، لماذا يحدث لي كل هذا، لماذا تعاندني السماء بكل هذا، وأخذ يكرر لماذا لماذا بصوت عال وهو يزيد من سرعة سيارته بشكل هستيري، حتى تم له ما أراد، انقلبت السيارة وبدأت الدنيا من حوله تتحول إلى اللون الأبيض... وهنا يبدأ كتابنا.

(بالمناسبة، هذه القصة خيالية، ولا، لا أدعم أية أفكار انتحارية)

حاول ديفيد فتح عينيه، وبدأت الرؤية تعود إليه، فوجد نفسه في مكتب فخم، وبدأ يسمع صوتا آت من قريب، وشيئا فشيئا بدأ يسمع هاري ترومان يتدرب على خطبة سياسية سيلقيها. اقترب الرئيس الأمريكي إبان حقبة الحرب العالمية الثانية منه وبدأ يشرح لديفيد ما يمر / وما سيمر به من رحلات عبر الزمان والمكان. لقد استجابت السماء لسؤاله، وعبر سبع وصايا، سيحصل على إجابة لسؤاله لماذا هو.

كان هاري ترومان وقتها يجهز ليوضح في خطبة سياسية سبب اختياره إلقاء القنبلة النووية على اليابان، التي كانت بمثابة الشوكة الحادة في حلق القوات الأمريكية، حيث ذكر ترومان لديفيد أنه خلال كل المواجهات الأمريكية اليابانية العسكرية، لم يستسلم جندي ياباني واحد للجيش الأمريكي... كما جاءت التقديرات الأولية أن غزو اليابان سيكلف الأمريكان قرابة 350 ألف قتيل، وهو ما لم تملكه القوات الأمريكية وقتها...

حين يلم بنا حادث أليم، نظن الدنيا وقد اسودت، وألا مصيبة تفوق مصيبتنا، وأن السماء ظلمتنا بهذه الفاجعة، ووو... لكن بعض الحكمة تخبرنا أن هذا ليس صحيحا، فهاري ترومان كان أمام خيارات كلها صعبة جدا، إن قبول خطته النووية، أو خطة غزو اليابان عبر الطرق العسكرية التقليدية، كلها سينتج عنها مقتل ما لا يقل عن ربع مليون إنسان، وهو خيار ليس بالسهل، حتى ولو كان هاري ترومان يحمل شهرة الحجاج...

بعد هذا الشرح، وبعد أن بين هاري ترومان أنه تعود على زيارات الكثيرين من أمثال ديفيد، حيث كان يعطيهم وصية من سبع، وبعدها يرحل هؤلاء فجأة كما ظهروا له، ليحصلوا على المزيد من الحكمة والوصايا... بعدها أعطاه هاري ترومان الوصية الأولى...

الوصية الأولى

القرار الأول للنجاح: عجلة اللوم تتوقف هنا، عندي، الآن

من الآن، من هذه اللحظة، سأتقبل مسؤوليتي عن ماضيي. بداية الحكمة هي قبولي لمسؤوليتي عن جميع مشاكلي، وعبر قبولي لهذا المسؤولية فأنا أحرر نفسي لأتقدم نحو مستقبل أفضل بكثير وأكثر إشراقا، مستقبل من اختياري أنا.

لن ألوم والديني مرة أخرى، أو زوجتي، أو مديري، أو زملائي، أو العاملين معي، على موقفي الحالي. لن أترك تعليمي أو عدمه، أصلي، لوني، ظروفي، تؤثر على مستقبلي بأي طريقة سلبية. إذا سمحت لنفسي بلوم هذه القوى التي لا أستطيع التحكم فيها، فأنا سأبقى دائما في حلقة لا تنتهي من الماضي. سأتطلع للأمام، ولن أترك تاريخي الماضي يتحكم في مصيري.

عجلة اللوم تتوقف هنا، الآن، عندي أنا. أنا المسؤول عن الماضي. أنا المسؤول عن نجاحي.

أنا وصلت إلى ما وصلت إليه الآن، معنويا و بدنيا و روحيا و عاطفيا و ماليا – بسبب القرارات التي اتخذتها. قراراتي كلها اتخذتها بناء على طريقة تفكيري. بذلك، فأنا وصلت إلى ما وصلت إليه الآن، معنويا و بدنيا و روحيا و عاطفيا و ماليا – بسبب طريقة تفكيري. اليوم سأبدأ في تغيير ما وصلت إليه، معنويا و بدنيا و روحيا و عاطفيا و ماليا – عبر تغييري للطريقة التي أفكر بها.

أفكاري كلها ستكون بناءة، لا هدامة. عقلي سيعيش في حلول المستقبل. لن أغوص في مشاكل الماضي. سأبحث عن وألزم أولئك المجاهدين من أجل إدخال التغييرات الإيجابية على هذا العالم. لن أبحث عن الراحة عبر بحثي عمن قرروا أن يرتاحوا ويتكاسلوا ولن ألزمهم.

عندما أجد نفسي في موقف يتطلب اتخاذ قرار، سأتخذه. أفهم أن الله لم يخلقني بشكل اتخذ معه دائما القرارات الصحيحة، لكن الله – عز وجل – وضع في القدرة على اتخاذ القرارات ثم جعلها قرارات صحيحة. ارتفاع وهبوط معنوياتي لن يمنعني من السير في طريقي. عندما أتخذ قرارا، سأقف وراءه. ستذهب طاقتي في اتخاذ القرار. لن أضيع طاقتي على إعادة التفكير. حياتي لن تكون رسالة اعتذار. حياتي ستكون شهادة أداء.

عجلة اللوم تتوقف هنا، الآن، عندي أنا. أنا أتحكم في أفكاري. أنا أتحكم في عواطفي.

في المستقبل، عندما أكون مدفوعا للسؤال لماذا أنا؟ سأرد فورا بالسؤال: ولماذا لا يكون أنا؟ التحديات هي هدايا وعطايا، فرص للتعلم. المشاكل هي أكثر الصفات تشابها وتكررا في سير العظماء من الرجال والنساء. في الأوقات العصيبة، لن أعجز عن مواجهتها، سيكون لدي خيار وقرار اتخذه. ستكون أفكاري واضحة صافية. سأتخذ القرار الصائب. الأوقات العصيبة هي إعداد للرقي والرفعة. سأتقبل هذه الطريقة في الإعداد. لماذا أنا. لماذا لا يكون أنا؟ سأكون مستعدا لشيء عظيم.

أنا أتقبل مسؤوليتي عن ماضيي، أنا أتحكم في أفكاري، أنا أتحكم في عواطفي. أنا مسؤول عن نجاحي.

عجلة اللوم تتوقف هنا.

الوصية الثانية

القرار الثاني للنجاح: سأبحث عن الحكمة

أدرك أن الحكمة يـُسعى لها، بينما هي لا تسعى إلى أحد. الماضي لا يمكنني تغييره، لكـن بإمكـاني تغييـر المستقبل – عبر تغيير قراراتي التي اتخذها اليوم. سأغير من قراراتي الآن. سأدرب عينيي وأذني لتقرأ وتسمع كل ما يجلب التغييرات الإيجابية إلى علاقاتي الإنسانية الخاصة، وكل ما يجلب لي الفهم الأفضل لرفاقي. لـن أغذي فكري وذهني بكل ما يزيد من شكوكي ومخاوفي. سأقرأ وأسمع فقط لكل ما يزيد إيماني بنفسي وبقدراتي وبمستقبلي.

سأسعى إلى الحكمة، وسأختار أصدقائي بحكمة وحذر.

مثلي مثل من أختار من أصدقائي، سأتحدث لغتهم، وسألبس لبسهم، وسأشاركهم آرائهم وعـاداتهم. مـن هـذه اللحظة، سأختار أن أصاحب وأرافق أناس يعجبني أسلوب حياتهم. إذا رافقت الدجاج، فـسأتعلم أن أنقـر فـي التراب، وإذا رافقت النسور، فسأتعلم أن أصعد إلى القمم في الأعالي. أنا مثل النسر، مقدر لـي التحليـق فـي السماء.

سأسعى إلى الحكمة، وسأستمع إلى مشورة الحكماء، فكلماتهم مثل قطرات المطر على الأرض الجافـة، غاليـة وقابلة للاستفادة منها للحصول على نتائج فورية. أوراق الزرع التي تلتقط قطرات المطر هذه، هي التي ستنمو وتكبر. من يتجاهل مشورة الحكماء فإنما مثله مثل ورقة الزرع التي لم تذق الماء – سرعان ما ستذبل وتموت. عندما أستشير نفسي فقط، سأتخذ قراراتي بناء على ما أعرفه أنا فقط. عنـدما أستـشير الحكمـاء، سأضـيف معرفتهم وعلمهم وحكمتهم إلى رصيدي، وسأزيد بشكل كبير من فرص نجاحي.

سأسعى إلى الحكمة، وسأختار أن أخدم غيري.

الحكيم سيعود نفسه على الرغبة في خدمة الآخرين، لأن هذه الرغبة – تحديدا دون غيرها – سـتجذب حولـه الناس بشكل فريد. حين أخدم غيري بكل تواضع، سيشاركونني خبراتهم كلها بكامل إرادتهم. من يزرع في نفسه هذه الرغبة، سيصبح غنيا فوق الوصف. في أحيان كثيرة، سيكون لخادم الناس أذن ملك (أي يـصغي للكـل)، وعادة ما يصبح ملكا بعدها، يريده الكل ويبحثون عنه، وسيكون اختيار الناس الأول. من يخدم الآخرين سيكبر وسينمو بسرعة.

سأصبح خادما متواضعا، ولن أبحث عمن يفتح لي الباب، بل سأفتح أنا الباب لغيري. لن أشعر باليأس والإحباط حين لا أجد أحدا ليساعدني – بل سأشعر بالسعادة والفرح لأن مساعدتي متوفرة للجميع.

سأخدم الجميع، وسأستمع لمشورة الحكماء، وسأختار أصدقائي بحرص وعناية.

سأسعى إلى الحكمة.

الوصية الثالثة

القرار الثالث للنجاح: أنا رجل أفعال

وأما الوصية الثالثة فجاءت من جوشوا لورنس تشامبرلين، أستاذ جامعي تطوع ليحارب في الحرب الأهلية الأمريكية، ورغم أنه لم يدرك أن لديه مهارات قيادية كبيرة قبل التحاقه بالجيش، فهو أظهر كفاءة كبيرة في مجال قيادة الجنود، ورغم إصاباته الكثيرة في المعارك، لكنه كان يتعافى منها ليعاود مرة أخرى قيادة الرجال في المعارك، وهذا ما كتبه في الوصية:

ابتداء من اليوم، سأصنع لنفسي مستقبلا جديدا عبر صنعي لنفسي الجديدة. لن أغوص في رمال اليأس والشكوى من الوقت الضائع والفرص المفقودة. أنا لا أملك فعل شيء بخصوص الماضي. مستقبلي يبدأ الآن، سأقبض عليه بيدي وأحمله بقدماي. عندما أجد نفسي بين خيارين: أن أفعل شيئا، أو ألا أفعل شيئا، سأختار دائما الفعل. سأستغل الفرصة. سأختار أن أتحرك الآن.

أنا رجل أفعال. أنا كلي طاقة. أنا سريع الحركة. الكسل هو السيئة، ولذا سأعوّد نفسي على العادات النشطة الحيوية. سأسير بخطى متسارعة وعلى وجهي ابتسامة. الدماء المندفعة في عروقي ستقودني للأعلى وللأمام، إلى الحركة والنشاط والانجاز. يختبئ الثراء والنجاح من الكسول، بينما المكافآت السخية تصيب من يتحرك بسرعة.

أنا رجل أفعال، أنا ألهم الآخرين بنشاطي، أنا قائد.

القيادة هي الفعل. لكي أقود، علي أن أتحرك للأمام. يفسح الكثيرون الطريق أمام من يتحرك بسرعة. نشاطي سيخلق موجات من النجاحات لمن سيتبعوني. نشاطي سيكون مستمرا، وهذا سيبث الثقة في قيادتي. كقائد، لدى القدرة على التشجيع، ودفع الآخرين ليخرجوا أفضل ما بداخلهم. إن المقولة التالية صحيحة: جيش الغنم الذي يقوده أسد خير من جيش الأسود الذي تقوده شاة.

أنا رجل أفعال، أنا قادر على اتخاذ القرارات، وسأتخذها الآن.

إن الشخص الذي يختار ألا يتحرك لا إلى اليمين ولا إلى اليسار لهو يختار قلة الشأن والهوان. عندما يواجه البعض موقفا يستلزم منهم اتخاذ قرار، تجدهم لا يفعلون شيئا ويقولون أنهم ينتظرون الهداية من الله. لكن أنا أعلم أنه في معظم الحالات، ينتظر الله مني أنا أن اتخذ القرار، فهو – عز وجل – أعطاني العقل السليم لأجمع به المعلومات وأستجمع به الشجاعة لأصل إلى نتيجة وقرار. إن عقيدتي قوية وطريقي شديد الوضوح أمامي. الناجحون يتخذون قراراتهم بسرعة ويغيرون رأيهم ببطء. الفاشلون يتخذون قراراتهم ببطء ويغيرون رأيهم بسرعة. قراراتي تأتي بسرعة، وهي تقودني للفوز.

أنا رجل أفعال، أنا مقدام، أنا شجاع.

ليس للخوف نصيب من حياتي. لفترة طويلة، طغى الخوف على رغبتي في تحسين معيشة عائلتي – ليس بعد الآن، فأنا كشفت الخوف على أنه بخار، محتال ليس له ولم يكن له أبدا أي غلبة أو سيطرة علي. أنا لا أخاف الآراء الأخرى أو الشائعات أو ثرثرة القرود على الأشجار، فكلها متساوية عندي. أنا لا أخشى الفشل، فهو في حياتي مثل الخيال، فالفشل يصيب فقط من يستسلم وينسحب ويتوقف عن المحاولة. أنا لا أستسلم أبدا.

أنا شجاع، أنا قائد، أنا أستغل الفرصة. أنا أختار أن أتحرك الآن.

أنا رجل أفعال.

الوصية الرابعة

القرار الرابع للنجاح: قلبي عاقد العزم حازم الرأي

أما الوصية الرابعة، فاختار لها اندي اندروز شخصية كريستوفر كولومبس ليكون ملقيها، مرد ذلك أن كريستوفر استمر على مدى عشرين عاما يجاهد لتمويل حلمه لاستكشاف ما وراء المحيط الأطلنطي وإثبات كروية الأرض، في وقت كان الاعتقاد السائد فيه أن الأرض ممتدة بلا نهاية، ومن يقول غير ذلك كافر هالك، وخلال هذين العقدين، ظل قلبه متقدا بالإيمان بفكرته، عازما على تنفيذها أو يموت في سبيل تحقيقها. دون الدخول في جدل الحكم على كولومبس، دعونا نركز على الجزء الذي يهمنا من حياته، الإصرار الراسخ على تنفيذ حلمه.

قال رجل حكيم يوما: رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة، ولعلمي أن هذه الحكمة صادقة صحيحة، فأنا سأتخذ خطوتي الأولى اليوم. لفترة طويلة كانت قدمي مترددة، تخطو يمينا تارة وشمالا تارة أخرى، وللأمام أحيانا وللخلف أزمانا. النقد واللوم والشكوى لا تقدم أو تؤخر، فأنا من يملك القدرة على تحديد اتجاهي. اليوم سأستعمل هذه القدرة. إن مساري قد حددته، ومصيري واضح لي.

أنا أملك قلبا عاقد العزم حازم الرأي. رؤيتي للمستقبل تسيطر على عواطفي ومشاعري كلها.

سأستيقظ صباح كل يوم وكلي سعادة ونشوة بسبب هذا اليوم الجديد، لأنه فرصة لي كي أنمو وأتغير. أفكاري وأفعالي ستعمل في اتجاه واحد: للأمام، ولن تنزلق أبدا في غابات الشك أو تغوص في رمال الرثاء للنفس. سأشارك رؤيتي للمستقبل مع غيري بدون مقابل، وحين يرون عيناي الواثقة من هذه الرؤية، سيتبعونني.

سأضع رأسي ليلا على الفراش، وأنا كلي سعادة بسبب شعوري بالإرهاق، لعلمي بأني بذلت كل ما في وسعي من أجل تحريك الجبال التي تعترض طريقي. بينما أنام، سيراودني ذات الحلم الذي يشغل ساعات نهاري. نعم، أنا لدي حلم، حلم عظيم، ولن أعتذر بسبب هذا الحلم أو عنه. أبدا لن أتخلى عن هذا الحلم، لأني إن فعلت، فحياتي ستكون قد انتهت. أملي وشغفي ورؤيتي لمستقبلي، كلها تشكل وجودي. من ليس لديه حلما لم يرَ قط حلما يتحقق.

أنا أملك قلبا عاقد العزم حازم الرأي. أنا لن أنتظر.

أعرف أن غرض هذا التحليل هو الوصول إلى نتيجة. أنا اختبرت دقة الحسابات، وقست كل الاحتمالات، والآن توصلت إلى قراري بقلبي. أنا لست عصبيا أو مترددا. سأتحرك الآن ولن أنظر للوراء. إن ما أؤجله للغد سأؤجله مرة أخرى في الغد أيضا. أنا لا أؤجل أو أسوف. كل مشاكلي يصغر حجمها حين أواجهها. عندما ألمس سنبلة القمح، سيشاكني طرفها المدبب، أما إن قبضت عليها بكل قوة، فستلين في يدي.

لن أنتظر، أنا شغوف برؤيتي للمستقبل. مساري قد حددته، ومصيري مؤكد.

إن قلبي عاقد العزم حازم الرأي.

الوصية الخامسة

القرار الخامس للنجاح: اليوم سأختار أن أكون سعيدا

على الرغم من الأهمية الكبيرة لكل وصية، لكني أرى أن الوصية الخامسة ذات أهمية أكبر، إذ اختار المؤلف اندي اندروز فتاة يافعة، ذات 15 ربيعا، لتلقيها على بطل قصته هدية المسافر. هذه الفتاة كانت تعيش في زمن حرب عالمية، ورغم الموت المتربص بها وبأهلها، فإنها كانت متفائلة باسمة، تضع تخيلا واضحا لما تريد لمستقبلها أن يكون عليه، وتتخيل نفسها تفعل هذا وذاك في كبرها. إن الفتاة كانت شاكرة أنها لا زالت على قيد الحياة، وكانت تعتبر بقاءها حية سببا كافيا للابتهاج والتفاؤل.

بداية من هذه اللحظة الحالية، أنا إنسان سعيد، لأني الآن أفهم المعنى الحقيقي للسعادة. أدرك الآن أن السعادة ليست خيالا عاطفيا يدخل إلى ويخرج من حياتي. السعادة اختيار.السعادة محصلة نهائية لأفكار وأفعال محددة، والتي ينتج عنها تفاعلا كيميائيا يسري في جسمي. هذا التفاعل يتسبب لي في الشعور بحالة من الابتهاج والنشوة، والتي إن كان البعض يظنها غير قابلة للتحكم فيها، فإنها تخضع لتحكمي الكامل.

اليوم سأختار أن أكون سعيدا. سأقابل كل يوم بالضحكة والابتسامة.

بعد لحظات من استيقاظي صباحا من النوم، سأضحك لمدة سبع ثواني. بعد فترة زمنية قصيرة، ستبدأ السعادة والحبور في الانتشار في دورتي الدموية. أنا أشعر بطريقة مختلفة. أنا شخص مختلف. أنا شغوف بشأني يومي الحالي. أنا متيقظ لكل ما في هذا اليوم من فرص وإمكانيات. أنا سعيد.

الضحك وسيلة تعبير من الداخل للخارج عن الشغف، ولأني أعرف أن الشغف هو الوقود الذي يحرك العالم، فأنا أضحك طوال اليوم. أنا أضحك حين أكون بمفردي، وأضحك أثناء حديثي مع الغير. سينجذب الناس إلي لأني أضحك من قلبي. العالم ينتمي إلى الشغوفين، لأن الناس ستتبعهم إلى أي مكان.

اليوم سأختار أن أكون سعيدا. سأبتسم في وجه كل من أقابله.

الابتسامة ستصبح علامتي المميزة، فهي أقوى الأسلحة التي أمتلكها. إن لابتسامتي من القوة ما يمكنها من تهدئة العواصف وإذابة الثلج وتليين الحديد. سأستخدم ابتسامتي بشكل مستمر. بسبب ابتسامتي، سيختار الناس الذين أتعامل معهم بشكل يومي أن يتابعوا أهدافي ويتبعوا قيادتي. سأكون دائما أول من يضحك. هذه الطريقة في إظهار حسن التصرف ستخبر الآخرين ما الذي أنتظره منهم في المقابل.

ابتسامتي هي زينتي العاطفية الخارجية. قال حكيم يوما: أنا لا أغني لأني سعيد – أنا سعيد لأني أغني. عندما أختار أن أتبسم، فإني ساعتها أصبح المتحكم في عواطفي. خيبة الأمل، واليأس، والإحباط، والخوف، كلها لن تستطيع الوقوف أمام ابتسامتي. قوتي ستظهر حين ابتسم.

اليوم سأختار أن أكون سعيدا. أنا أمتلك نفسا شاكرة.

في الماضي، كنت أجد خيبة الأمل في مواقف محددة، حتى بدأت أقارن ظروف حياتي مع آخرين أقــل حظــا مني. تماما مثلما تقشع نسمات الريح الضباب، كذلك تزيل النفس الشاكرة سُحب اليأس والقنوط. من المــستحيل على الإحباط أن يكون له نصيب من قلب شاكر.

أنعم علي ربي بنعم ومنح كثيرة، ولأجل هذه سأتذكر أن أكون ممتنا شاكرا. كثيرا ما رفعت صوتي بدعاء مــن يريد فقط، متناسيا دائما أن أشكر وأحمد الله. أنا لا أريد أن تكون صورتي صورة الطفل الجشع، غير الــشاكر، غير المحترم. أنا شاكر نعمة البصر والسمع والتنفس. إذا وجدت يوما نعمة ما، فسأكون شاكرا لتوفرها بكثرة.

سأقابل كل يوم بالضحك. سأضحك لكل من أقابله. أنا أمتلك نفسا شاكرة.

اليوم سأختار أن أكون سعيدا.

الوصية السادسة

القرار السادس للنجاح: اليوم سأختار أن أكون متسامحا

وهنا اختار المؤلف اندي اندروز الرئيس الأمريكي ابراهام (=إبراهيم) لنكولن، ليلقي الوصية السادسة على بطل قصته هدية المسافر. لمن لا يعرف، لنكولن كان نكرة حتى الأربعين من عمره، رجل جرب العمل في مهن وحرف كثيرة، فشل في معظمها، فهو لم يحصل على تعليم أكاديمي، رغم ذلك علم نفسه القانون، وعمل كمحامي، وكان له مرافعات ذكية تثير الإعجاب، وهو صاحب الفضل في حماية الولايات المتحدة الأمريكية من التفكك إلى دويلات متناحرة، وهو من ألغى عبودية الزنوج الأمريكيين، وهو أول رئيس أمريكي يموت غيلة.

لفترة طويلة، حبست داخلي أي ذرة تسامح ملكتها، وأخفيتها عن العيون، على أمل أن أعطيها يوما لمن يستحقها عن جدارة، وللأسف، فلقد وجدت معظم الناس لا تستحق عفوي وتسامحي، ولأنهم لم يطلبوه مني قط، فأبقيته لنفسي. الآن، هذا التسامح الذي حبسته في قلبي تحول إلى نبتة مُر طعمها.

لكن ليس بعد الآن، فمن اللحظة هذه، سيملأ حياتي الأمل والثقة، ومن دون الناس جميعا، فأنا سأمتلك سر تبديد الغضب والسخط. الآن أعلم أن للعفو والتسامح قيمة كبيرة – فقط حين أبذله للغير. عبر عفوي عن الغير، فأنا أحرر شياطين الماضي التي لا أملك فعل شيء لها، وبهذا يصبح لي قلبا جديدا، وبداية جديدة.

اليوم سأختار أن أكون متسامحا، سأسامح حتى هؤلاء الذين لم يطلبوا مني أن أسامحهم.

كم من المرات اشتطت فيها غضبا، بسبب كلمة بدرت أو فعل صدر من شخص عابث أو غير مكترث، ما جعلني أضيع ساعات طوال في التفكير في طرق الانتقام أو المواجهة. الآن تتراءى لي حقيقة هذه العقبة النفسية بداخلي، فالغضب الذي أججته هو من طرف واحد فقط، لأن من اجترأ علي لا يفكر في جرمه هذا.

من الآن، سأمنح عفوي في صمت – حتى لهؤلاء الذين يظنون أنهم ليسوا بحاجة إليه. عبر عفوي هذا، فأنا أحرر نفسي من التفكير غير المثمر. سأتوقف عن شعوري بالمرارة، وسأسعد بنفسي وسأعود منتجا بمساعدة أقراني.

اليوم سأختار أن أكون متسامحا، سأسامح الذين ينتقدونني بغير وجه حق.

لأن الرق بكل صوره خطأ، فأنا أؤمن كذلك أن من يعيش حياته بناء على آراء الغير هو من الرقيق والعبيد، وأنا لست كذلك. أنا أعرف الفرق بين الصواب والخطأ، أنا أعرف ما هو أفضل مستقبل لأسرتي، ولن أدع رأيا غير سليم أو نقدا غير عادل يغير من مسيرتي هذه.

إن من ينتقدون أهدافي وأحلامي لا يفهمون الهدف السامي الذي أسعى إليه، لهذا، فإن احتقارهم لي لا يؤثر على معنوياتي أو قراراتي. سأسامح انعدام الرؤية لديهم، وسأمضي في طريقي. الآن أعلم أن الانتقاد هو جزء من الثمن الذي أدفعه مقابل رفضي لأن أكون شخصا عاديا تقليديا.

اليوم سأختار أن أكون متسامحا، وسأبدأ بأن أسامح نفسي.

لسنوات طوال، كان ألد أعدائي نفسي التي بين ضلوعي، فكل غلطة، زلة، خطأ، سقطة، كبوة فعلتها، أبقيتها في الذاكرة واسترجعتها مرات ومرات في عقلي. كل وعد لم أف به، كل يوم أضعته سدى، كل هدف لم أحققه، كل هذا نتج عنه ذاك الشعور المرير بداخلي بسبب قلة انجازاتي ونجاحاتي في حياتي. هذا السخط نتج عنه شعورا داخليا أصابني بالشلل. عندما أخيب أملي، فأنا أتفاعل مع هذه الخيبة بجمودي وتوقفي عن الحركة، ما يزيد من شعوري بخيبة الأمل.

أدرك الآن استحالة محاربتي لعدو سكن رأسي. عبر مسامحتي لنفسي، فأنا أمحو الشك والخوف والإحباط الذي جعل الماضي يصبح حاضري. من هذا اليوم فصاعدا، لن أترك تاريخي يتحكم في مصيري، فأنا سامحت نفسي وعفوت عنها، وحياتي بدأت من الآن.

سأسامح حتى هؤلاء الذين لم يطلبوا مني أن أسامحهم، سأسامح الذين ينتقدونني بغير وجه حق، وسأسامح نفسي.

اليوم سأختار أن أكون متسامحا.

الوصية السابعة

القرار السابع للنجاح: سأجتهد بدون كلل

بعدما أقدمت على إدخال تغييرات في حياتي، تغييرات من شأنها أن تستمر للأبد، فاليوم أضع قطعة البناء الأخيرة: أنا أمتلك أكبر قوة حصل عليها بنو البشر – قوة الاختيار. اليوم أختار أن أجتهد في المحاولات دون كلل أو ملل. لن أنشغل عن هدفي، ولن أتردد في تركيزي بين هذه وتلك، مثل ريشة في مهب ريح عاصف. أنا أعرف النتيجة التي أريدها. أنا متمسك بأحلامي. أنا ملتزم بمساري. أنا لا أستسلم.

سأجتهد بدون كلل، سأستمر رغم التعب والإرهاق.

أنا أعرف أن "**معظم الناس**" تستسلم حين يحل عليها الإرهاق الشديد. أنا لست ضمن "**معظم الناس**". أنا أقوى من **معظم الناس**. العادي من الناس يتقبل الإرهاق على أنه مبرر للتقاعس. أنا لا أفعل ذلك. يقارن العاديون من الناس أنفسهم بغيرهم من الناس. هذا هو سبب كونهم عاديين. أنا أقارن نفسي بما يمكن لنفسي أن تفعله. أنا لست تقليديا عاديا. أنا أرى الإرهاق على أنه مؤشر للنجاح.

لكم من الزمن على الطفل الذي يحبو أن يثابر حتى يتعلم المشي؟ ألست أملك من القوة والجلد ما هو أكثر من هذا الطفل؟ ألست أملك الفهم الأعمق؟ ألست أملك الرغبة الأكبر؟ لكم من الوقت علي أن أعمل من أجل النجاح حتى أدركه وأحققه فعلا؟ إن الطفل لا يسأل أبدا هذا السؤال، لأن إجابته لا تهم كثيرا. عبر المثابرة بدون كلل، يزيد تأكيد نجاحي.

سأجتهد بدون كلل، سأركز على النتائج.

لأحقق ما أصبو إليه من نتائج، فليس من الضرورة أن أمتع برحلة تحقيق هذه النتائج. الضروري هو أن أستمر في الرحلة وعيني مثبتة على النتيجة المرجوة. الرياضي لا يتمتع بآلام التدريب والتمرينات، لكنه يتمتع بنتائج تمرينه هذا. الصقر الصغير يجد نفسه مدفوعا خراج العش، ويملؤه الخوف من السقوط من الجرف، ولا يمكن أن يجد اللذة في اضطراره لتعلم الطيران، لكن صعوبات وآلام هذا التعلم سرعان ما تتضاءل حين يرتفع إلى عنان السماء.

إن البحار الذي يراقب بذعر العاصفة تضرب مركبه، سيبقى مبحرا في مسار لا ينجيه من هذه العاصفة. لكن القبطان المحنك سيبقي عينه مثبته بإحكام على موقع الفنار، لعلمه أن قيادة مركبه إلى نقطة محددة سيقلل من الوقت الذي يقضيه في معاناة غضب العاصفة. عبر تركيز عينيه على الضوء، لا تمر عليه لحظة خذلان أو تثبيط. إن ضوئي، مينائي، مستقبلي ضمن نطاق رؤيتي.

سأجتهد بدون كلل، وإيماني بلا حدود.

قضيت الطويل والكثير من حياتي في الشك في معتقداتي والإيمان بشكوكي. ليس بعد الآن. لدي إيمان كبير بمستقبلي. أنا لا ألتفت يمنة ويسرة. أنا أنظر للأمام. أنا قادر فقط على المثابرة.

إيماني هو دليلي الراسخ، أكثر من الأسباب، لأن السبب يذهب إلى نهاية مدى بصري، بينما إيمـــاني لا حـــدود يقف عندها. سأتوقع حدوث معجزات في مجريات حياتي، لأن إيماني بها يجعلها تتحقق كـــل يـــوم. ســـأؤمن بمستقبلي الذي لا أراه. هذا هو الإيمان. عاقبة هذا الإيمان هي رؤيتي الفعلية لتحقق مستقبلي الذي آمنت به.

سأجتهد رغم التعب والكلل، سأركز على النتائج، أنا رجل ذو إيمان بلا حدود.

سأجتهد بدون كلل.

في نقد كتاب رحلة المسافر

لعلك لاحظت عزيزي القارئ أن الملخص العربي لكتاب هدية المسافر غير متوازن، غابت عنه بعض الأركان الأساسية في أسس توصيل الفكرة للقارئ بشكل مريح – لكن كامل، سلس – لكن منطقي ومقبول. مرد ذلك رغبتي الدائمة في كل ملخص أكتبه ألا أكشف عن كل درر ومناقب الكتاب، وأن أترك أشياء مطمورة تنتظر المنقب عن الذهب ليكتشفها بنفسه، فأنا هنا أردت أن أعرض أهم ما وجدته في الكتاب، وأردت به رفع الهمة، وشد العزم، وأن نتعلم جميعا فن المسامحة، مسامحة أنفسنا التي بين جنباتنا أولا، ثم بعدها نسامح من حولنا.

هذه المسامحة ستضع عبئا رهيبا عن كواهلنا، إذ أن معاودة تذكر عثراتنا وأخطائنا وزلاتنا ومعاصينا، كلها تجعلنا نعيد معايشة هذا الحدث مرة أخرى، بكل آلامه وأحزانه ومنغصاته، وعلام سنحصل جراء هذا التعذيب النفسي الذاتي؟ لا شيء. لكن انظر إلى الجهة الأخرى، حين تسامح نفسك، وتترك من حولك بلا رغبة في انتقام بسبب جرم أجرموه، ستجد نفسك وقد انزاح عنك هم ثقيل، وبدأت نفسك من داخلك تفكر في جديد وسعيد، لأنها توقفت عن محاولة سحب حملها الثقيل ورائها، فأصبحت أنفسنا بعدها قادرة على الجري للأمام بقوة كبيرة.

ثم إن توقفنا عن لوم غيرنا ولوم أنفسنا سيجعل هذه النفس حرة طليقة بشكل أكبر، وستجعل البال خال، مما يزيد من انشراح الصدر وتيسير الأمر وانطلاق عنان الأفكار الجديدة المثمرة بمشيئة الله... لو عرضت لك كل وصية ومحاسنها وفوائدها لما وجدت نهاية لكلامي هذا، لكني واثق بأن القارئ الباحث عن الذهب سيجد بغيته في هذه الوصايا، وأدعو الله لأن يعمل بها كل من قرأها، خاصة وأن لله الحمد لا أجد تعارضا بينها وبين تعاليم ديننا الحنيف.

النصوص التي أغفلتها
في قصة الوصية الثانية، ذهب خيال الكاتب إلى وضع بطل قصته في محكمة سيدنا سليمان، حين حكم بين المرأتين اللتين زعمتا أن الطفل طفلهما، فأمر سيدنا سليمان بمنشار يقسم الطفل نصفين، وتذهب كل واحدة منهما بنصف، وحين رأى تشفي غليل واحدة، وحسرة قلب أخرى رفضت هذا الحل، لم يجد سيدنا سليمان صعوبة في معرفة الأم الحقيقية والأم الكاذبة السارقة.

لكن لماذا لم أذكر هذا الأمر؟ لأننا معشر العرب قوم نترك الذهب ونتصارع على الخبث، فلو كنت ذكرت أن سيدنا سليمان – وفق خيال المؤلف – هو من أعطى البطل الوصية الثانية، لدخلنا في اجتهادات ومشادات التنظير الديني لزعم مثل هذا، ولذا أسقطت هذه الجزئية من سياق الكلام، وحاولت ألا يترك هذا الإسقاط ندوبا في مجرى القصة.

بالطبع، سيسأل سائل، وهل توافق على ما قاله المؤلف؟ وأقول، ومن أكون أنا لأوافق أو لا، وما ثقل رأي، إن ما يهمني هنا هو الوصية لأنها ذات معاني عظيمة، لا تتعارض مع ديننا الإسلامي الجميل، ولذا أخذت الطيب وتركت الخبيث، دون تفكير في نظرات مؤامرة أو دس للسم في العسل، فالكاتب حين كتب لا أظنه فكر كثيرا في العرب.

أما الوصية السابعة، فزعم خيال المؤلف أن سيدنا جبريل (الروح الأمين) هو من ألقاها عليه، ووضع المؤلف تخيلا لبيئة عمل سيدنا جبريل، وتخيل حوارا يدور بينه وبين بطل قصته، وهو ما يتعارض مع عقيدة كل مسلم، فسيدنا جبريل هو الروح الأمين، يحمل رسالات الله إلى أنبيائه ورسله ومن شاء الله، ولا يتحدث مع عامة البشر – على حد علمي القاصر القليل – ولذا عرضت الوصية دون ذكر لمن ألقاها.

قبل أن تستل سيفك وتبدأ في كتابة خطبة عصماء، فالكتاب كله قصة خيالية، من وحي خيال المؤلف، الذي كتبها لغير المسلمين، ولا نظرية مؤامرة ولا خطة يهودية نصرانية لتسميم المسلمين، حنانيك فليس كل من دب على الأرض عدوا لنا، ولا هو صديق كذلك، لكن السرائر لا يقدر عليها سوى الله، ونحن ليس لنا سوى الظاهر وتفكيرنا القاصر.

إن ما أتمناه، بعد أن أديت الأمانة العلمية في النقل والشرح، ألا تتغير فكرة قارئ عن هذه الوصايا، فهي تبقى ذات فوائد عظيمة، ومنافع كثيرة، وتترك راحة نفسية شديدة، وتزيد أهميتها مع ارتفاع نسب الانتحار في عالمنا العربي المسلم، وعلى من يختلف مع المؤلف أن يدع كتابه، لكن الحكمة تقتضي أن نأخذ الطيب ونترك الخبيث، مثلما نفعل حين نأكل ثمرة الفاكهة، إذ نرمي القشر والبذر، بدون أن نرفع السيف على الثمرة ونقول إما كلها أو ندعها...

-(نهاية الملخص)-

تناول هذا الملخص أقل من نصف الكتاب، ويبقى النصف الثاني مكملا لأوله، ورغم اجتهادي في الترجمة، لكن النص الانجليزي أكثر نجاحا مني في توصيل المعلومة وتحفيز القارئ، لذا لا تظن أن ملخصي يكفيك أو يغنيك عن قراءة الكتاب الأصلي والتمتع بما فيه.